السمات العامّة للمهارة في القرآن الكريم دراسة تحليلية

م. د. طلال فائق الكمالي

مقدّمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمّد وعلى أهل بيته المهدين إلى صراط ربّ السموات والأرضين.

لا شكّ في أنَّ وظيفة القرآن الكريم وغايته الأساس هي هداية الإنسان إلى الحقّ المطلق والوقوف على آثار تلك المعرفة، ومن ضمنها الوقوف على الشريعة الحقّة، ومعرفة السبل المفضية إليها، والمقاصد المتوخّاة منها، فضلًا عن موافقة كلّ ما تقدّم لفطرة الإنسان ومقتضى عقله ومنطق فهمه وطبيعة تركيبته، ولعلّ من أهمّ تلك السبل وأعظمها شأنًا هو القرآن الكريم بوصفه المصدر الأساس لشريعة الحقّ سبحانه وتعالى، وهذا ما نفهمه حين يصف القرآن نفسه لقوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

وعلى الرغم من أنَّ الإنسان هو أشرف الخلق، وأنَّ الله تعالى اصطفاه

على بقية خلقه، إذ استخلفه في الأرض، إذ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢] لِما فيه من مَلَكات إنماز بها من غيره، ومن بينها العقل وقدرته على إدراك الحقائق وكسب المعرفة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[٣] فإنّه ـ أي الإنسان ـــ يظلّ مفتقرًا إلى معرفة الكثير، ومن ذلك معرفة كنهه وما يحيط به من موجودات، وافتقاره إلى كتاب الله القرآن الكريم، وهذا الافتقار إنّما هو عوز المحدود للمطلق والناقص للكامل، والجاهل للعالم.

فالإنسان خلق ليتحصَّل على نيل السعادة، ولكن نجده في الوقت نفسه محتاجًا إلى درء المضرّة عنه لما فيها من مكروهات ونقص في السعادة، وجلب المنفعة لما يتعلّق بها من خيرات وتتمّة للسعادة، وذلك بغية الوصول إلى مقصد سعيه، ومن أهمّ تلك السبل الموصلة هي إدراك الإنسان للحكمتين العلمية والعملية بمهارة واتقان ومثابرة، ومن هنا نلحظ أهميّة (المهارة) بوصفها مفهومًا يمكن من خلاله اختزال الوقت والجهد والمسعى لتحقيق الهدف المنشود، ولأنّنا وفّقنا في إعداد بحث مستقل[٤] أفردنا فيه تحديد مفهوم المهارة ومقوّماته، فضلًا على موضوعه وغاياته على وفق رؤية القرآن الكريم، إذ كان الوسط الذي من خلاله يمكن للإنسان معرفة ما يجهله ويفتقر إليه، فإنّه لابدّ ـ والحال هذه ـ من أنْ نقف عند (سمات المهارة) ووظيفتها، إذ لا يخفى أنَّ الجهل بمؤشّرات المهارة وعلاماتها تعدّ مشكلة بحثية يُبتلى بها الإنسان على الصعيدين العلمي والعملي، فضلًا على التمييز بين ما هو ماهر متقن وجاد وما هو دون ذلك لافتقار المفهوم للمؤشّرات، ومن ثمّ الوقوف على آثار مصاديقه.

ومن أجل ذلك كلّه كان هذا البحث الذي حاولنا فيه الإحاطة بمشكلة (سمات المهارة) وتلبية فرضيته عرضًا وحلًا وتحليلًا، ولغرض استيعاب مفردات الموضوع ومفاصله تبنّى البحث الوقوف على السمات العامّة للمهارة على وفق رؤية القرآن الكريم، لما يتفرَّد به ـــ كتاب الله تعالى ـ من رؤية كونية رفيعة الشأن مقايسةً ببقيّة الرؤى السماوية فضلًا على الأرضية، لما افترضه البحث من وجود مشتركات لسمات المفاهيم القرآنية، مع الوضع في الحسبان أنَّ ليس بالضرورة تعميم تلك المشتركات على المفاهيم جميعها؛ لتبنّي القرآن الكريم استحسانه

للمفاهيم الإيجابية، واستقباحه للمفاهيم السلبية، فضلًا على تباين المفاهيم نفسها في داخل المبنى الواحد من حيث ماهية المفهوم من جهة، وعلاقته بالإنسان من جهة أُخرى.

وتأسيسًا على ما تقدّم كان البحث موسومًا بـ (السمات العامّة للمهارة في القرآن الكريم/ دراسة تحليلية)، متضمّنًا مبحثين وخاتمة، إذ عمد الباحث في مبحثه الأوّل المعنون بـ (أهميّة دراسة السمات وأبعادها المعرفية) إلى إيضاح السمة لغةً واصطلاحًا، والغاية من دراسة السمات، والنسق المعرفي بين الرؤية الكونية وسمات المفهوم، ووظيفة السمات ومهامها، وسمات المهارة في الوسط المعرفي، وأخيرًا وحدة عُرى المفاهيم القرآنية وانسجام سماتها.

ورصد في المبحث الثاني الذي كان تحت عنوان (السمات العامّة للمهارة من منظور القرآن الكريم) أهمّ السمات العامّة للمهارة، وهي على النحو الآتي: سماوية الرؤية الكونية، ووسطية الشريعة واعتدالها، والعبادة وتجلّيات أحكام الشرعية، وموازنة الإيمان بالعمل، ثمّ طفق الباحث في خاتمة البحث إيداع أهمّ النتائج، ثمّ تبعها بمصادر البحث ومراجعه.

المبحث الأوّل
أهميّة دراسة السمات وأبعادها المعرفية

السمة لغةً:

عبر استنطاق معجمات اللغة انكشف لنا أنَّ الوسم أثر كيّ، ومن ثم يقال بعير موسوم: أي وسم بسمة يعرف بها، من قطع أُذنٍ أو كيّ، والميسم: المكواة أو الشيء الَّذى يوسم به سمات الدوابّ، وفلان موسوم بالخير والشرّ، وقيل: هو وضع أثر في شيء ليعرف به، والمقصد منه التوجّه إلى خصائص الشيء وآثاره، والمتوسّمون هم الَّذين ينظرون في الأشياء والحوادث ويتدبّرون للنتائج الحاصلة منها[٥].

وفي هذا السياق قال الراغب: «الوسم التأثير، فيها على تفكّر دقيق عميق، حتّى يخلصوا منها إلى نتائج مفيدة، فالنظر في التوسّم إلى الآثار، وفي الاعتبار أو السمةُ: الأثر، يقال وَسَمْتُ الشيء وَسْمًا: إذا أثرتَ فيه بسمةٍ... وتَوَسَّمْتُ: تعرّفت بِالسِّمَةِ، ويقال ذلك إذا طلبت الوَسْمِيَّ، وفلان وَسِيمٌ الوجه: حسنه، وهو ذو وَسَامَةٍ عبارة عن الجمال... ومَوْسِمُ الحاجِّ: معلمهم الذي يجتمعون فيه، والجمع: المَوَاسِمُ، ووَسَّمُوا: شهدوا المَوْسِمَ»[٦].

واتَّسَمَ الرجلُ إذا جعل لنفسه سِمةً يُعْرَف بها، ووسَّمَ الناسُ تَوْسِيماً: شَهِدُوا المَوْسِمَ كما يقال في العيدِ عَيَّدوا، وتوَسَّم فيه الشيءَ: تَخَيَّلَه. يقال: توَسَّمْتُ في فلان خيراً أي رأَيت فيه أَثراً منه.

وتوَسَّمْتُ فيه الخير أي تَفَرَّسْتُ، مأْخذه من الوَسْمِ أي عرَفْت فيه سِمَتَه وعلامتَه[٧]، فَالسِّمَةُ هُنَا: «مَصْدَرٌ، وتَكُونُ اسْماً بِمَعْنَى العَلاَمَةِ»[٨].

والْفرق بَين الْعَلامَة والسمة أَنَّ السمة ضرب من العلامات مَخْصُوص لأَنَّ أَصلهَا التَّأْثِير فِي الشَّيْء، أمّا العلامة فقد تميّز الشيء من غير أنْ تترك فيه أثرًا[٩].

والمعنى الدلالي لمفردة السمة تطوّر حتّى أصبحت نظرية من نظريات علم النفس تعنى بدراسة شخصيّة الإنسان، وقد اعتنى روّاد النظرية في المرتبة الرئيسة بقياس السمات، إذ يمكن تحديد معناها بأنّها الأنماط المعتادة للسلوك والتفكير، والعاطفة[١٠].

وبُغية خلق مقاربة دلالية بين معنى السمات والخصائص ارتأينا أنْ نعرض الأقوال اللغوية في معنى الخصائص، فالخصائص جمع للخصيصة، وقيل خصّه بالشيء خصوصًا وخصوصيةً، واختصّه بكذا، أي خصّه به[١١]، لذا عُدّ قياسًا (لأنّه إذا أُفرد واحدٌ فقد أوقع فُرْجَةً بينه وبين غيره)[١٢]، ومن هنا قيل إنَّ خصّص تعني: (خصّه بالشيء يخُصّهُ خَصًّا وخُصوصًا وخَصُوصيةً، واختصّه: أَفرَدَه به دون غيره)[١٣]، على حين اختزل المعجم الوسيط ما رصده القدماء من أقوال على بأنَّ (الخَصِيصَةُ: الصِّفة التي تميِّز الشيءَ وتحدِّده)[١٤]، لذا يمكن عدّ الخصيصة هي كلّ ما ينفرد به الشيء عن غيره، على حين يمكن حدَّ السمة بأنّها العلامات أو المؤشّرات التي تؤول إلى إنفراد الشيء عن غيره، أي العلامة التي يصحبها أثر ظاهر وقد يكون خفيًا يمكن تلمّس آثاره، وبهذا فإنّ السمة متقدّمة على الخصيصة ترتيبًا؛ بل لعلّها السبيل الموصل لهذه الأخيرة محصّلة.

السمة اصطلاحًا:

اعتنى الباحثون بصياغة المصطلح الفكري عامّةً والقرآني خاصّةً؛ لأنّه يمثّل منطلقًا للمجال العلمي، فهو أداة تعبيرية تتّسم بأنّها تختزل المفهوم اختزالًا مكثّفًا، إذ يصاغ في أُسلوب دلالي يدنو من فكرة الترميز، أو الإشارة المؤدّية إلى الدلالة على المفهوم أو المضمون الفكري، بلحاظ أنَّ «الوضع المعجمي لا يمكن أنْ تكفيه الدلالة المعجمية، فيحتاج إلى أكثر من

لفظة ربّما تركّب عن طريق المزج أو النحت أو التركيب الكمّي»[١٥]، من أجل ذلك سعى الباحث للوقوف على دلالة اصطلاحية للسمة عبر بعدها الفكري تارةً، ومنظور الرؤية القرآنية تارةً أُخرى.

فعلى الرغم من شهرة نظرية السمات التي كان أحد أهمّ روّادها عالم النفس الأمريكي جوردون ألبورت (١٨٩٧م - ١٩٦٧م)، ألفيناها دارت في فلك بيان سمات شخصية الإنسان في ضوء علم النفس ورؤيته، فالسمة من وجهة نظر هذه المدرسة: (وصف منظم لسلوك الأفراد، فمفهوم السمة يتعلّق بتنظيم السلوك وما بينه من علاقات)[١٦]، إذ ترجع أُصول هذه النظرية إلى علم النفس الفارق، ودراسة قياس الفروق الفردية، وهي تستند إلى تحديد سمات الشخصية وتحليل عواملها لتصنيف الأفراد فحسب، ولهذا عرضت مفهوم السمة بهذا اللحاظ، وحدّدت الخصائص، ووضّحت معايير تحديد المثيرات وصياغة الفقرات التي تقيس السمة من دلائل ومؤشّرات، فضلًا على المستويات التي روعي بها عموميتها وفرديتها[١٧]، لذا لا يمكن اعتماد أساس هذه النظرية لمبدأ خصوصية المفاهيم ومنطلقاتها.

وفي هذا السياق لم نرصد تعريفًا عرفيًا لسمات المفهوم، ويمكن عدّ (السمة) الوحدة الجوهرية، والقاعدة الأساس لبنية المفهوم، لتضمّنها مؤشّرات خاصّة تشترك فيها مكوّنات المفهوم أو الشيء، فضلًا على وجود محدّدات منسجمة يتوائم معها تمثّل شكل المفهوم وتؤطّره، علاوةً على وجود هيكل بنائي فكري ثابت ينسجم مع تلك البنية الجوهرية يُوضّحُ من خلاله وظيفة المفهوم وغايته، ممّا يتيح للباحث موازنة هذا المفهوم بغيره من المفاهيم الأُخرى عبر تلك المقاييس والمؤشّرات لبيان الفارق بينها، ومن ثمّ يرى الباحث إمكانية تعريفها بأنّها تُعنى بالمرتبة التي يتّصف به الشيء من علامات أو مؤشّرات، من حيث جوهره ومحدّداته وصفاته، فهي تلك المؤشّرات الظاهرية والجوهرية اللازمة للشيء التي يُعرف بها وتميّزه عن غيره، ويمكن القول بأنّها تلك العلامات والمؤشّرات التي تُعدّ طريقًا للمقايسة بين الأشياء من خلال قراءة جوهر الشيء وتحليل محدّدات عوارضه بغية معرفة جوهر الشيء وماهيته.

الغاية من وراء دراسة السمات:

ما من علم أو مفهوم إلّا وفيه مجموعة من السمات أو الخصائص التي يتفرّد بها عن غيره، إذ تتّضح من خلالها ماهية العلم أو المفهوم من جهة، ومعرفة رؤية مفرداته الداخلية والخارجية من جهة أُخرى، فضلًا على إمكانية معرفة أُسس المفهوم وأنماطه ومناهجه وأدواته، وهو ما يُفسّر صدارة هذا النمط من البحوث مقايسة ببقيّة بحوث المفاهيم ومطالبها الأُخرى.

على أساس ما سقناه آنفًا أولت الدراسات جميعها عناية خاصّة لقراءة سمات الأشياء للوقوف على ماهياتها، والاحتفاء بهذا النمط كان مبعثه الوصول إلى الفروق التي يرمي الباحث رصدها للوقوف على مائز هذا الشيء مع غيره أو هذا العلم عن ذاك، ولمعرفة مائز علم ما، لا يُقصد منه فروقه مع غيره بالموضوع والغاية؛ بل لمعرفة سمته التي يصطبغ بها من جانب الصفات الظاهرية والباطنية، وعلاقة مزايا العلم، وكذا الحال بما يتّصل بأي مفهوم، فسمة المفهوم تعني المعرفة بإطار دلالته اللغوية والمعرفية ومحدّداته، وصولًا إلى انطباق عنوان المفهوم على مفردات المعنون وجوهره من نعت أو صفة، من أجل ذلك أكّدنا من قبل أنَّ الغاية من وراء ذلك المعرفة التفصيلية والاجمالية لحيثيات المفهوم، ومن هنا يرى الباحث أنَّ الطريق المستقيم لمعرفة محدّدات المفهوم يكون عبر تحديد سماته، فلا يخفى أنَّ مراد الباحثين استيعاب المفهوم ومعرفته والعلم به مرهون بقراءة سماته الثابتة والمتغيّرة، والظاهرية والباطنية.

النسق المعرفي بين الرؤية الكونية وسمات المفهوم:

لا شكّ في أهميّة فلسفة الرؤية الكونية، إذ تُعدّ السبيل للإجابة عن الاستفهامات المعرفية ومن بينها ضالّة الإنسان في استكشاف حقيقة الوجود، والكون، والسعادة المنشودة، علاوةً على استنطاقها للإجابة عن تساؤلات المسألة الفلسفية، ليتكوّن من الجميع نسق معرفي واحد يؤسّس للبعد النظري لتلك الأيديولوجية، بيد أنَّ الأمر لم ينته إلى هذا الحدّ فحسب، بل ظلّت الرؤية الكونية منقوصة التكامل والتمام إذا بقيت رهن البعد التنظيري، والعلّة في ذلك افتقار الإنسان إلى رؤية متكاملة تامّة، تصوّر له الحقائق وتنمزج معه

بنسق معرفي جديد يحاكي واقع تمثيل تلك الأبعاد النظرية ليخرجها إلى فضاء الواقع العملي الإجرائي، فضلًا على وضع السبل الناجعة والكفيلة لها.

ولهذا لا يمكن مقايسة الرؤى الكونية على وفق الجانب النظري فحسب؛ ومن ضمن ذلك المقايسة بين الرؤى الكونية السماوية والأرضية؛ لكون العلّة في قبول هذه من تلك مبنيةً على أساس سلامة مباني النظرية وإمكانية التطبيق، وهذا ما ذهب إليه الصدر بقوله: يجب أنْ لا نقيم المقارنة على أساس المعطيات النظرية فحسب، بل لابدّ من أن يدرس المجال المفروض للتطبيق وسماته وشروطه ليلحظ ما يقدر لكلّ منهج من فاعلية لدى التطبيق[١٨].

وبمقتضى ما تقدّم نحرز أهميّة المجال الإجرائي لكلّ رؤية كونية، إذ هو الكاشف عن سلامة البعد النظري وأحقّيته من جهة، وعن واقع التطبيق وجدواه من جهة أُخرى، وعبر ذلك يتبيّن صدق سمات الرؤية من عدمه، ومن بينها السمات الظاهرية والباطنية، والخاصّة والعامّة، والثابتة والمتغيّرة، التي نحن بصددها، إذ لا يخفى أنَّ إدراك تلك الحقائق لا يمكن الوصول إليها إلّا عبر دراسة سمات الرؤى النظرية والعملية أو الخاصّة والعامّة.

السمات العامة للمفهوم:

في هذا المقام يسعى الباحث إلى بيان وجود سمات عامّة وأُخرى خاصّة لكلّ علم أو مفهوم، ومنه مفهوم (المهارة) محلّ البحث، فقد تمّ التأكيد من قبل على أنَّ أي رؤية كونية لها نظامٌ اجتماعيٌ تعرض فيه الإجابة عن المسألة الفلسفية وما تنضوي تحتها من تساؤلات، ولهذا ينبغي أنْ تتمتّع الرؤى جميعها بمتبنّيات متكاملة ومترابطة تجمعها وحدة فلسفية لا تنفكّ بعضها عن بعضها الآخر، فالجانب الفكري له علاقة وثيقة بالجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيرها من الجوانب الأُخرى، وبذلك ينبغي أنْ تكون سمات المفاهيم - ومنها مفهوم المهارة - منضبطة بضابطة النظم الاجتماعية لتلك الرؤية وتدور في فلكه، ويمكن تسميتها بالسمات الأساس أو العامّة.

وبناءً على تلك المعطيات يعتقد الباحث أنَّ ما من مفهوم إلّا وله سمات عامة يُعرف من خلالها ماهية المفهوم ومقارباته وفروقه الرئيسة، فضلًا على مقاييسه ومؤشّراته قبالة المفاهيم

الأُخرى موازنةً وافتراقًا، في الوقت الذي نعتقد فيه بوجود سمات خاصّة لكلّ مفهوم تعبّر عن خصوصية هويته الذاتية ووظيفته العينية، تكوّن صفة السمات ومؤشّراته الخاصّة مقترنة بالمفهوم وملتصقة به، مع مراعاة بقاء تجلّيات تلك السمات الخاصّة من ضمن مناخها العام والرئيس، وهذا ما ينطبق نفسه على مفهوم المهارة.

وظيفة السمات ومهامها:

لأنَّ الوظيفة مجموعة أنشطة - يبذلها أحد أطراف القضية - تنساق لخدمة أصحاب العلاقة من خلال ضوابط ومعايير معيّنة يكون مآلها أخيرًا تحقيق الأهداف، سعى الباحث لتسليط الضوء على وظيفة السمة بمفهومها العام بغية معرفة أهميّة السمة وأثرها في الحقل المعرفي، من أجل ذلك حدّد الباحث وظيفة السمة بالآتي:

١- تُعدّ السمة معيارًا دقيقًا للمطابقة بين المفهوم والمصداق، أو بين النظرية والتطبيق.

٢- محاولة جادّة للمقايسة بين ما هو كائن وما ينبغي فعله عبر تحديد السمات الفارقة بين المستويين.

٣- تُعدّ السمة تشخيصًا لهوية الشيء ومؤشّرًا واضحًا للمتبنّيات العقدية والسلوكية.

٤- بلحاظ وجود سمات جوهرية وظاهرية، ومتحرّكة وثابتة، يمكن أنْ تكون السمة إحدى قنوات التغيير.

٥- بناء الهيكل الفكري عبر تأصيل السمات الإيجابية المشتركة، فضلًا على تعزيز آثارها في المجالات كافّةً، وخلاف ذلك صحيح أيضًا.

٦- إمكانية استقراء المستقبل وقراءة فصوله، لذا يمكن عدّها مرحلة معرفية متقدّمة يمكن من خلال مراقبة الواقع المجهول.

٧- القدرة على رصد ما أُنجز من أهداف عبر المقايسة بين مؤشّرات الواقع والطموحات.

٨- تعدّ حافزًا ومنطلقًا لاستنطاق القدرة عبر إدراك الواقع ومعرفة حيثياته.

٩- يمكن عدّها من أبرز طرائق رصد مواطن القوّة والضعف.

سمات المهارة في الوسط المعرفي:

عُرّفت المهارة بأنّها: القدرة على استنطاق طاقات الإنسان الظاهرة والكامنة على المستوى الأدائي بجودة وإتقان واختزال الزمن، بُغية تحقيق أهدافه على وفق رؤيته الكونية[١٩].

وعلى الرغم من تأكيد الميادين المعرفية جميعها على المهارة، ظلَّ واقع الدراسات مفتقرًا لتحديد مفهوم المهارة نفسه، ومن ثمَّ نجد النتيجة نفسها في تحديد سمات هذا المفهوم وخصائصه، وليس مردّ ذلك إلى زهد الباحثين طال هذا النمط من الدراسات، بل لأنَّ النسق المعرفي يفتقر دومًا لتحديد المفهوم بجنبته الشمولية، فالأعمّ الأغلب من تلك الدراسات تأكّد على تخصّص الباحث وميوله، ومن هنا نلحظ آثار اسقاطات الباحث واضحة الأثر في هذا الشأن.

ولعلّ مفهوم (المهارة) أحد المفاهيم المجني عليها بهذا النمط من الدراسات، وهذا ما نتلمّسه بوضوح في دراسات التنمية البشرية، وعلم النفس، وعلم التربية، وما يصطلح على الفنون الجميلة، وغيرها من ميادين المعرفة الأُخرى التي نجد فيها للمهارة مساحة يُعتدّ بها، وإنْ كانت جميعها تؤكّد على المهارة من دون وضع أُسس هذا المفهوم أو تحديد سماته ومحدّداته النظرية العلمية، وبالمحصّلة يمكن القول إنَّ هذا الفراغ المعرفي في تحديد المفهوم نظريًا آل إلى فراغ آخر مفاده البعد الإجرائي لمفهوم المهارة، ومن ثمّ نلحظ أنَّ التباين جليّ في تحديد عمل الماهر في الوسط المعرفي، ومن هنا نجد بعض الباحثين يعدّ التفكير - على سبيل المثال لا الحصر - من مقوّمات مهارة بناء الشخصية السوية، على حين يفتقر التفكير نفسه إلى المهارة؛ لأنَّ المهارة هنا تعني سلامة التفكير بتجنّب وقوع الذهن في الخطأ عبر اتّباع أُسس المنطق الذي عرف بأنّه: (آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن أنْ يضل في فكره) [٢٠]، وبمراعاة تلك القوانين تحصل مهارة التفكير التي هي ملكة نفسية يقاس بها التفكير وتقدّر معايير سلامته.

على أساس ما ذُكر آنفًا يعتقد الباحث بضرورة تحديد مفهوم المهارة، ومن ثمّ تحديد سماته وخصائصه بوصفه مفهومًا عامًّا، يمكن أن يستوعب الوسط المعرفي بجوانبه كلّها من دون الوقوع في تباينات هذا العلم عن ذاك.

وحدة عُرى المفاهيم القرآنية وانسجام سماتها.

على الرغم من ضرورة البقاء وسط الفضاء المعرفي للسياق العرفي للمفهوم، نجد للدراسات القرآنية خصوصياتها وانفرادتها المعرفية لفرادة رؤيتها الكونية، إذ يمكن رصد سمات المفهوم

القرآني موازنةً بالدراسات غير القرآنية، عبر التمعّن في قراءة فلسفتهما جليًا وبعدهما المفاهيمي والدلالي، وأثرهما في الإنسان، والحياة، والكون.

فمن خلال التقصّي لآيات القرآن الكريم يمكن رصد السمات العامّة للمفاهيم القرآنية، فضلًا على السمات الخاصّة للمفهوم الواحد مقايسةً بغيره عن المفاهيم القرآنية نفسها، وهذا ما يميّز الدراسات القرآنية من غيرها.

ولبيان عظمة القرآن الكريم وبعده الإعجازي في المجالات عامّةً والجانب الفكري خاصّةً، نلحظ وجود مشتركات عامّة لسمات المفاهيم القرآنية، وتفرّد سماتها الخاصّة، ومرجع ذلك أنَّ القرآن الكريم انطلق في عرض المفاهيم جميعها من منظور فكري واحد، وفي الوقت نفسه عرض خصوصية المفهوم ومنحه حرّية الانفراد من خلال خصوصية الموضوع، والغرض، والوظيفة لكلّ مفهوم، وهذا ما يمكن تلمّسه بوضوح ونحن نراقب مفهوم المهارة في ضوء القرآن الكريم، إذ ألفينا ثمّة خصائص مشتركة بين مفهومنا - محل البحث- وبقية المفاهيم، وفي الوقت نفسه اهتدينا إلى تفرّد مفهومنا بخصائص أُخرى.

ولعلّ وحدة خصائص المفاهيم القرآنية الرئيسة وتناغمها، في مقابل تفرّد بعض سماتها الفرعية مبني على وحدة منشئها جلَّ شأنه ووحدة عُرى المنظومة الفكرية القرآنية وكمالها وتمامها.

المبحث الثاني
السمات العامّة للمهارة من منظور القرآن الكريم

تحدّثنا فيما سبق عن وجود مشتركات ضرورية لكلّ مفاهيم القرآن الكريم، إذ تشترك عموم تلك المفاهيم ومنها مفهوم المهارة، بما هو آتٍ:

أوّلًا: سماوية الرؤية الكونية.

في هدي رؤية الباحث عرفت المهارة بأنّها القدرة على استنطاق طاقات الإنسان الظاهرة والكامنة على المستوى الأدائي بجودة وإتقان واختزال الزمن، بغية تحقيق أهدافه على وفق رؤيته الكونية[٢١].

وعبر قراءة التعريف المذكور آنفًا نلمس وجود قيد لأداء المهارة على المستوى الإجرائي، وهو الباعث في تحقيق الأهداف على وفق الرؤية الكونية للماهر، فعلى الرغم من أنَّ الرؤية الكونية من مكوّنات أو أساسيات المهارة

ومقوّماتها تنماز المهارة في ضوء القرآن الكريم بوجود ضابط فكري اقترن بوحي سنّة الشريعة الإسلامية، فسماوية الرؤية الكونية سمة عامّة يتميّز بها مفهوم المهارة وبقيّة المفاهيم الأُخرى في القرآن الكريم، حتّى باتت هذه السمة تلازم المنظومة الفكرية للمفهوم على المستويين التنظيري والعملي في مصدره وموضوعه ومقصده بما تتضمّن من تجلّيات للحقّ ولاسيما في القضايا الكلّية والرئيسة والمطلقة، ومن هنا لم تترك مجالًا للاجتهادات الفردية المتأثّرة بالدراسات الأرضية ذات الطابع النسبي، بلحاظ أنّ مرجعية الأوّل رسالة ربّانية سماوية معصومة عن الخطأ؛ لانتسابها في معرفة الحقائق إلى الحقّ المطلق.

في مقابل ذلك نلحظ أنَّ مرجعية التوجّه الثاني - الدراسات الأرضية - إنّما هي تصوّرات خيالية نسبية في مقدّماتها وخواتيمها، ومحدّداتها ومتبنّياتها؛ ما دامت ترتكز في مدركاتها على الإنسان المحدود الذي قد يخطئ وقد يصيب؛ لأنَّ الإنسان بطبيعة إدراكه مرهون بضيق طاقاته ومحدودية قابليته، فضلًا على محدودية طرائقه المنهجية وتباين استنتاجاته من شخص إلى آخر، ولعلّ نمو المعرفة لدى الإنسان واطّرادها وتراكم خبراته المكتسبة وسعيه نحو التكامل دليل على قصور مؤهّلاته وقابلياته، إذ ما كان ليستتمّ وجوده إلّا من حيث يرد نقصه، وما كان ليستكمل إلّا حيث يوجد الخلل فيه، على هذا الأساس يمكن الاهتداء إلى منشأ قصور خبرات الدراسات الأرضية بما يأتي:

١- تواضع ملاحظات الإنسان في إدراكه للأشياء؛ لقصوره ومحدوديته في الغوص في أعماق الأشياء، إذ يقف عند حدود الظاهر وربّما كان قاصرًا عن إدراك الظاهر المشهود نفسه أحيانًا.

٢- جزئية ملاحظات الإنسان وضيق إحاطته بالموجودات كلّها، بسبب عدم قدرته الذهنية على إدراك الحقائق كلها.[٢٢]

وبالمقايسة بين الدراسات الأرضية وسماوية القرآن الكريم وعمومية هذا السمة يمكن القول بأنَّ ما يميّزه من تلك الدراسات الآتي:

١- إنّه المصدر الأساس لنظم الشريعة السماوية وقواعدها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٢٣].

٢- فيه من المضامين العالية ما

يتواءم مع منشـئه جلَّ وعلا: ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّـلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٢٤].

٣- يعـدّ ذا أُفق غير متنـاهٍ يلبّي حـاجات الإنســان المتطوّرة؛ لعالميته وخاتميته، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٢٥].

٤- تضـمّن نظامًا اجتماعًا تامًّا ومتكاملًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُـلِّ مَثَـلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٢٦].

٥- تعدّ معاييره وضـوابطه معيارًا للمقايسـة بين الصـواب والخطأ، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[٢٧].

وتتجلّى هذه المقايسـة بين الرؤيتين السماوية والأرضية، ونسبة الله تعالى إلى خلقه، إذ يروى عن أبي عبد الله ﷺ أنّه قال: «نِسْبَةُ اللهِ إِلَى خَلْقِهِ أَحداً صَمَدًا أَزَلِيًّا صَـمَدِيًّا لا ظِلَّ لَهُ يُمْسِـكُهُ وَهُوَ يُمْسِـكُ الأَشْـيَاءَ بِأَظِلَّتِهَا عَارِفٌ بِالْمَجْهُولِ مَعْرُوفٌ عِنْدَ كُلِّ جَاهِلٍ... دَيْمُومِيٌّ أَزَلِيٌّ لا يَنْسَى وَلا يَلْهُو وَلا يَغْلَطُ وَلا يَلْعَبُ وَلا لإِرَادَتِهِ فَصْـلٌ وَفَصْـلُهُ جَزَاءٌ وَأَمْرُهُ وَاقِعٌ لَمْ يَلِدْ فَيُورَثَ وَلَمْ يُولَدْ فَيُشَارَكَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ»[٢٨].

ومائز القرآن الكريم مرجعه الاعتقاد بأنّ منشئ نصّه الله سبحانه وتعالى، إذ كلّ ما فيه من مضامين معصومة بالطبع، ومقايسـةُ المضـامين الأُخرى به إنّما هي مقـايســة الكـامـل بـالنـاقص، والحقّ بالضلال، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[٢٩]، وهذا ما أكّده الرسول الأكرم ﷺ في قوله: (إنَّ على كلّ حقّ حقيقية، وعلى كلّ صـواب نورًا، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه»[٣٠].

وتدبّر بعض آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَـــكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُـونَ﴾[٣١]، نجـد تجلّيـات مطلبنـا واضحًا، فالآية المباركة وإنْ كانت تعرض حال أهل الكتاب، فإنَّها تخاطب الإنسـان عامّةً، وهذا ما نلمسـه جليًا في البعد الدلالي والمقصد من وراء الدعوة بصيغة الأمر ليكون الإنســان ربّانيًا في فكره ووجهته، ومن ثمّ مؤمنًا معتقدًا بسماوية مصدر الكتاب ومنهجه.

ولعلّ من النكات اللغوية والدلالية التي تضـمّنتها الآية المباركة تعدّ خير دليل على ما أوردناه، فجملة الآية تفيد الاسـتدراك لبيان ضـرورة التلبّس بدين

الله وتعاليم القرآن والإعراض عن غيره، وكذا الحال بالنسبة إلى زيادة الألف والنون في كلمة ﴿رَبَّانِيِّينَ﴾ فهي تفيد المبالغة والتفخيم، على حين نجد الأمر نفسه في الباء التي تفيد بيان السبب في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ لتعلّقها بـ: ﴿كُونُواْ﴾ فضلًا على تكرارها مرّتين في الآية لبيان أنَّ كلًا من التعليم والدراسة لهما الخصوصية في أثر التلبّس بالربّانية، علاوةً على إتيان كلمة ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ وكلمة ﴿تَدْرُسُونَ﴾ بصيغة المضارع للدلالة على الاستدامة والمثابرة فيهما دون مجرّد التلبّس[٣٢] في وقت محدّد دون غيره، كلّ ذلك يسوقنا إلى أنَّ الآية تؤكّد مطلب ربّانية الرؤية الكونية وسماويتها التي تشكّل سمة عامّة للمفاهيم القرآنية ومنها مفهوم المهارة، فقد تلمّسنا من الآية المبالغة، والتفخيم، والاستدراك؛ لإثبات ما ينبغي ونفي ما هو كائن من تردّد ووهم، والإيضاح في بيان السبب، وأهميّة المقصد من التأكيد والتكرار، وضرورة المثابرة والتواصي بالاستمرار من خلال صيغة فعل المضارع، وتقدّم تعليم مضامين الكتاب على الدراسة لأهميّة الأُولى وعموميتها وتعدّد أنماطه في مقابل خصوصية الثاني، ليقضي ذلك إلى أنَّ الدعوة إلى سماوية الرؤية الكونية في الآية المباركة يكون مآلها تجلّي مفهوم المهارة بوضوح، ولعمومية هذه السمة نجد أنَّ المفاهيم القرآنية الأُخرى تشترك مع مفهوم المهارة بهذه السمة.

في الجانب الآخر عرض القرآن الكريم تدنّي رؤى الدراسات الأرضية التي ترتكز على اجتهادات بشرية، مبناها الظاهر من العلم بتضمّنها تصوّرات ونظريات قد يرتقي بعضها إلى التصديق وقد يجافي بعضها الآخر الحقيقية، فضلًا على محدوديتها بتتبّع المحسوس من عالم الدنيا، وضيق أُفقها وضعف بصيرتها في إدراك العوالم الأُخرى، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[٣٣]، فالآية المباركة تنطلق بقارئها إلى آفاق أوسع وأبعاد أشمل وأعمق، فهي تستصرخ المتدبّر بها بالخروج من دائرة المعارف الدنيوية والركون إلى المعارف الكونية السماوية، فضلًا على المعرفة الإنسانية، من خلال الوقوف على الحقّ والحقيقة بدلًا من الوهم والشكّ، والظاهر من القول والعمل.

فعلى الرغم من صحّة بعض المعارف الدنيوية، تظلّ جوهر العقدة في الآية ذمّ

الاقتصار على هذا النمط من المعارف من دون الغوص في المعارف الغيبية الإلهية والرؤية السماوية، بقرينة قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فالآية لم تنفِ بعض المعارف الدنيوية، ولا سيّما التي تعدّ سبيلًا للوصول إلى الحقائق اليقينية، بيد أنّها جاءت تستقبح الناس الذين ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ تلك الحقائق وتذمّهم، ليكون العلم الظاهر في آيتنا المذكورة آنفًا بدلًا من نفي العلم عند المنكرين للرسالة السماوية في الآية التي سبقتها من قوله تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[٣٤]، من هنا يمكن القول إنَّ إدراك الرؤية الكونية الإلهية والعلم بها تعدّ صراطًا مستقيمًا لطلّاب الحقيقية فهي (ترفع حياتهم وتطلقها، وتوسّع آمادها وأهدافها، وتخرجهم من تلك العزلة الضيّقة، عزلة المكان والزمان والحدث، إلى فسحة الكون كلّه: ماضيه وحاضره ومستقبله، وإلى نواميس الكون وسننه وروابطه) [٣٥].

في ضوء ذلك صوّر القرآن الكريم حقيقة سماوية الرسالة ورفعتها، وصوّر تواضع الرؤى الأرضية تصويرًا رائعًا، مبيّنًا فيه الهوّة الكبيرة بين المنهجين والفرق الشاسع بينهما لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء﴾[٣٦]، فعلى الرغم من تعدّد تفسير المقصود بالشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة، يظهر لنا أنّها لا تتعدّى الرؤية الكونية الإلهية والعمل بها[٣٧]، وأنّ هذا المعنى شبّه به استعارةً بالشجرة الطيبة لنموّها وبركتها وطيب ثمارها وتواصل عطائها؛ لعمق جذورها وثبات أصلها وصلة فروعها بالسماء، ليكون من يستظل بفيئها منعَّمًا بأُكلها كلّ حين، فهي كناية عن عمل المكلّف بسنّة السماء وتشريعاتها، وتشبّه المكلّف بشريعة الله تعالى والوقوف عندها يفتقر إلى الجدّة والاتقان والسعي الحثيث، وما عمله هذا إلّا مهارة الامتثال إلى سماوية الرؤية الكونية، التي ينتمي مفهومنا (مفهوم المهارة) وبقيّة المفاهيم الأُخرى إليه بوصفها سمة عامّة.

ثانيًا: وسطية الشريعة واعتدالها.

رفع القرآن الكريم شعار الوسطية والاعتدال عبر عدّة آيات منها قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٣٨]، و«وسط الشيء: ما له طرفان مُتساويا القدْر»[٣٩]، فالوسطية إذن هي الابتعاد عن الإفراط والتفريط في التعامل مع المفاهيم والمصاديق عمومًا، فقد فسّر قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ بأنّها الأُمّة المعتدلة في الفكر والعقيدة، والمعتدلة برؤيتها على المستويين المادّي والمعنوي، والمعتدلة في النظم الاجتماعية وروابطها[٤٠] والمعتدلة أيضًا في الجانب العلمي والعملي، والدنيوي والأُخروي، وامتدّ التوازن فشمل مصالح الفرد والجماعة، والعبادة والعمل، والمادّة والروح، بل كلّ مورد يفتقر إليه على مستوى المفهوم والمصداق، فغايتها الانسجام مع طبيعة الإنسان الأيدلوجية والفطرية التي مقصدها السعي بالإنسان نحو التكامل بلحاظ الجعل الإلهي لشريعة الإسلام التي انمازت من الشرائع بهذه السمة أو غيرها، وهو ما عبّرت عنه الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ﴾، فهي إشارة واضحة إلى إرادة الله تعالى وجعله التشريعي في تعزيز شريعة الإسلام وتأصيل جذور الوسطية فيها، لتكون الأُمّة التي تدين بدين هذه الشريعة ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، وهذا ما تفطّن إليه الطباطبائي، إذ أشار إلى أنَّ (هذه الأُمّة هي الوسط العدل الذي يقاس ويوزن كلًّا من طرفي الإفراط والتفريط)[٤١]، ولمّا كانت النظم الشرعية قد سعت إلى التوازن والاعتدال فإنّ عمل المكلّف بتلك الأحكام بمقتضى ذلك الاعتدال الذي مآله الجدّة والدقّة والحذق، إذ سيكون مصداقًا للمهارة.

وعلى أساس ذلك تكون الوسطية هي التوازن بين الإفراط والتفريط الذي اتّسمت به الشريعة السماوية في كلّ أحكامها، بل نتلمّس هذا الاعتدال والتوازن في كلّ أركان الشريعة المقدّسة، في المنظومة العقدية والقيمية والتشريعية التي شكّلت صورة الدين الإسلامي، فكلّ منهما يمثّل مرحلة واجبة يكتمل وجوبها وتمامها بوجوب الركن الآخر، من هنا نجد أنَّ الدين الإسلامي ينقسم على أُصول وفروع، ونظم نظرية وتطبيقات عملية تظافرت جميعها مع روح المنظومة القيمية، إذ لا يمكن أنْ تنفكّ أجزائها ولا تكتمل وتتمّ إلّا عبر مكوّناتها من دون زيادة أو نقص، أو غلو

أو تقصير، لتحقيق الوسطية (التوازن) الذي هو سمة من سمات المهارة.

فالقرآن الكريم يؤكّد معنى الوسطية ويؤصّلها مستحسنًا، وينهى صراحةً عن الغلو مستقبحًا حتّى في الدين نفسه، بل وضّح ضرورة الوقوف على ما هو حقّ فحسب، قال تعالى: ﴿لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾[٤٢]، وهذا ما أكّده الرسول الأعظم ﷺ إذ روي عنه قوله: «أيّها الناس إيّاكم والغلو في الدين فإنّما أُهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[٤٣]، والغلو إنّما يراد منه التجاوز على حدود سنن الشريعة، سواء كان ذلك في القدرة أم في المنزلة، وهو تجاوز الحقّ وتخطّيه بالإعراض عن الثوابت والبراهين[٤٤]، فالآية المباركة تنهى عن الإفراط في الدين والحياد عن طريق المحجّة البيضاء؛ لأنّ مرجع ذلك هو اتّباع للهوى ومحصّله الضلال عن سبيل الله بحسب منطوق الآية نفسها: ﴿لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾[٤٥]، ولعلّ نكتة الآية في مطلبنا هذا تكمن في جملة نهي الغلو في الدين بقيد ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ للدلالة على نهي الغلو الباطل بالخروج عن الحدّ، على حين تجيز الآية المباركة - بلحاظ القيد - الاجتهاد والمثابرة في طلب الحقّ والحقيقة، علاوةً على ما أشار إليه البقاعي بجواز استنباط ما خفي من دقائق أحكام الشريعة بقرينة أنَّ كلمة (الحقّ) في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ جاءت معرفة لتفيد المبالغة في طلب الحقّ[٤٦] غير المنهي عنه، «ولو نكّر لكان من جاوز حقًّا إلى غيره واقعًا في النهي»[٤٧]، والجواز في طلب الحقّ ومعرفة الحقائق على نحو المبالغة والجدّة والجهد والاجتهاد يعدّ من سمات المهارة بعينها وهو ما شدَّدت عليه الشريعة المقدّسة لأنّه من المفاهيم القرآنية ذات النمط الإيجابي.

والحقّ إنّنا نجد أنَّ جميع المجالات الأُخرى التشريعية منها والعملية تنساق تحت هذه السمة (ضابطة الوسطية وضرورة الاعتدال) إذ نلمس تلك الحقيقة بوضوح في النظم الاجتماعية وما ينضوي تحتها من بعد اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي، لتكون تلك الضابطة هي الفيصل في قبول الأعمال أو ردّها من خلال التوسّط بين جميع الأطراف من دون ميل إلى طرف ما، ومن مصاديق ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُـهَدَاء بِالْقِسْـطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْـدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّـهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٤٨]، فالآية المباركة تخـاطـب المؤمنين على نحو الإلزام بضـرورة أنّ لزوم كينونتهم الإيمـانيـة متوقّفـة على معيـار القسـط والعـدل وصـولًا إلى التقوى من دون الالتفـات والتأثّر بكلّ الظروف التي قد تحول دون الوصـول إلى تلك المرتبة الرفيعة التي تُعـدّ المؤشّـر الحقّ للقرب من الخط البياني لرضا الله تعالى.

وبالتبصّر في معطيات الآية المباركة والتـأمّـل في دلالتهـا نهتـدي إلى جملـة نكـات، منهـا جملـة: ﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ﴾ التي تفضـي بلزوم الامتثال للأمر الإلهي لقولـه تعـالى: ﴿كُونُواْ﴾، على حين نجـد صـيغة ﴿قَوَّامِينَ﴾ في جملة الأمر نفسـها (دالّة على الكثرة المراد لازمها، وهو عدم الإخلال بهذا القيام في حال من الأحوال) [٤٩] فضـلًا على الاسـتـدامة في القيـام والمبـالغـة فيـه، على حين نجـد الفـائـدة الأُخرى في قولـه تعـالى: ﴿شُـهَـدَاء بِالْقِسْـطِ﴾، إذ عطفها على جملة ما قبلها يتبيّن أنَّ الآيـة حريصـة على تكـامـل المعنى وتمامه في قيام العمل على بيّنة من دون إخـلال، فـالمُـخـاطبـون مـن المؤمنين يلزم عليهم (أنْ يكونوا قوّامين بالقسـط أي قائمين بالعدل يقومون به، ويدومون عليه شهداء لله أي مبيّنون عن دين الله؛ لأنَّ الشـاهـد يبيّن مـا شـهـد عليـه)[٥٠]، على حين نهتـدي إلى نكتـة أُخرى من صـيغة ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ﴾ بضـرورة الامتثال للعـدل والعمـل بـه على الرغم من وجود موانع تحول دونه من بغض أو عصبية أو معصـيـة أو نقض عهد، فجاء النهي عن ترك العـدل أوّلًا، ثمّ اسـتـأنفـت جملـة ﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ بالتصريح لهم بـالأمر بـالعدل تـأكيـدًا وتعزيزًا ثـانيًـا، ثمّ اسـتؤنفـت جملـة ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ لتُعلّل أنَّ قصـد العدل والعمل به أقرب للتقوى ثـالثًـا؛ لكونـه مقدّمةً لـه ونتيجـة إليه لكونه لطفًا فيها[٥١]، أمّا قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ فجاء للدلالة على أنَّ المراد من إقامة القسـط والعدل مع المؤمنين وغيرهم إنّما هو قرب للتقوى لما فيه من إحسـان ولطف، وختام كلّ ما تقدّم ترد الآية المباركة لتؤكّد قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، فيتّضـح أنَّ هدايتنا تعتمد على العدل والاستقامة والعمل بها فضلًا على حرص الشـارع المقـدّس على

استدامتها والمبالغة في إتمامها، بل هي المهارة بالإتقان والجدّة؛ لأنّها سمة قرآنية عامّة شملت مفهوم المهارة في نهاية المطاف.

وبالوقوف على بعض شذرات آيات القرآن الكريم الأُخرى نجد تجلّي معنى العدل والاستقامة واضحًا، ومنها قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٥٢] إذ نتلمّس تأكيد شريعة السماء على التوازن وضرورة العدل، فهي تشرّع نصيب الدنيا في مقابل مبتغى طلب الآخرة، وتدعو الآية أيضًا إلى الإحسان في مقابل استقباحها للفساد الذي يهتك التوازن ويضيع العدل، أمّا آية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[٥٣] فنفهم منها استقباح التضييق والإسراف في الإنفاق وذمّهما، على حين نصّت الآية في مقابل ذلك على العدل بينهما لقوله: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ أي استقامتهما، وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٥٤] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[٥٥]، وغيرها من الآيات التي تؤول إلى النتيجة نفسها، فضلًا على الروايات التي قرّرت التوازن بين المفردات المتقابلة والمعاني المختلفة، إذ يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «للمؤمن ثلاث ساعات، ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يروم فيها معاشه، وساعة يخلي بينه بين نفسه ولذّاتها»[٥٦].

وعلى أساس ما سبق ندرك أنَّ تسليمنا بسمة وسطية الشريعة الإسلامية واعتدالها في الأحكام والقواعد من جهة والمناهج وآليات تطبيقها من جهة أُخرى إنّما هي سمة عامّة تنضوي تحتها جميع المفاهيم القرآنية ذات الأبعاد الإيجابية، ومنها مفهوم المهارة، وذلك لما تلمّسنا من هذه السمة ضرورة تلازمها مع معانٍ مثل الجدّة، والاجتهاد، والإتقان، والدقّة، والإنصاف، والعزم، وغيرها ممّا يكون مآله المهارة قطعًا.

ثالثًا: العبادة وتجلّيات أحكام الشرعية

قال الراغب: (العبودية: إظهار التذلّل، والعبادة أبلغ منها لأنّها غاية التذلّل، ولا يستحقّها إلّا منْ له غاية الإفضال)[٥٧] ولأنَّ معناها الخضوع يمكن تعريفها بأنّها: تسليم المكلّف لله تعالى والخضوع عبر طاعته.

وفي مفردة العبادة قال الجرجاني إنَّ: (الشريعة هي الائتمار بالتزام العبودية)[٥٨]، هذا إذا قصدنا منها القوانين العملية للشريعة الدينية، وقال الصدر إنَّ الحكم الشرعي: (هو التشريع الصادر من الله تعالى لتنظيم حياة الإنسان وتوجيهه)[٥٩]، كما يمكن تعريف الأحكام الشرعية بأنّها: (مجموعة الأحكام التي تنظّم علاقة الإنسان مع الله تعالى من جهة، وعلاقته مع نفسه وبقيّة جنسه من البشر من جهة أُخرى، فضلًا عن المخلوقات الأُخرى)[٦٠].

وبالعودة إلى العبادة وما قيل فيها من أقوال يمكن تقسيمها على ثلاثة أنماط وهي:

القسم الأوّل: العبادة العامّة ونعني بها الخضوع لله تعالى والتسليم له سبحانه تعظيمًا وإقرارًا.

القسم الثاني: العبادة الخاصّة: ونعني بها امتثال المكلّف لطاعة الله تعالى بجميع أحكامه من أوامر ونواهٍ يتضمّن ذلك العبادات والمعاملات على نحو القول والفعل، والظاهر والباطن وبذلك تكون العبادة قد استوعبت علاقة الإنسان المكلّف بربّه ونفسه والآخرين فضلًا على بقيّة الموجودات بكلّ صورها.

القسم الثالث: العبادة الأخصّ: وهي العبادة الطقوسية المفروضة على المكلّف لتجسيد الخضوع لتمثّل العبادات دون المعاملات، ويُشترط في صحّة أداؤها نيّة القربى لله تعالى.

وتأسيسًا على ما تقدّم يمكن التفريق بين العبادات الطقوسية على نحو الأخصّ التي يشترط في صحّتها وقبولها نيّة القربى لله تعالى والعبادة الخاصّة التي تتضمّن الأحكام العبادية الطقوسية والمعاملاتية التي لا يشترط فيها نيّة القربى لله سبحانه، على الرغم من أنَّنا يمكننا تعزيز نيّة القربى له تعالى في كلا النمطين، بلحاظ أنَّ الأحكام المعاملاتية إنّما هي أحكام إلهية وأنَّ الامتثال لها إنّما هو امتثال تسليم وطاعة له سبحانه، بيد أنَّ الفرق بينهما شرط النيّة فحسب، إذ يمكن للمكلّف عقد نيّته لله تعالى في الأنماط جميعها، من قبيل تجلّي التسليم له والإقرار بعبوديته سبحانه وتعالى.

والعبادة منْ أهمّ تجلّيات الشريعة الإسلامية عامّةً وأحكامها الشرعية خاصّةً، فهي تمثّل الطاعة بعينها، وامتثال المكلّف لها يُعدّ امتثالًا للشارع المقدّس تقديسًا وتسليمًا وإقرارًا من جهة، وثقةً واعتقادًا بأنَّ ما من محكم شرعي إلّا ومقصده الطاعة له سبحانه من جهة أُخرى، فضلًا على تحقيق المصلحة للمكلّف عبر جلب المنفعة إليه ودرء المضرّة والمفسدة عنه، بغضّ النظر عن معرفة سبب المصلحة من عدمه ومقصد المُشرِّع من تشريعها، فكلّ شيء مبني على حكمة إلهية خاصّة، من هنا نسترشد بأنَّ تعدّد أقسام الأحكام الشرعية التكليفية وتقسيماتها الخمسة - الوجوب والحرمة والندب والكراهية والإباحة - إنّما غايتها تنظيم علاقة الإنسان العبادية، وتلبية حاجاته ومتطلّباته من خلال قواعد وسنن إلهية معيّنة، ولهذا نجد أنَّ الشريعة الإسلامية المقدّسة احتوت جميع أقسامها العبادية بألوانها المتعدّدة؛ بل استوعبت كلّ شاردة وواردة، إذ روي عن أبي نصير، عن أبي عبدالله ﷺ ــ في حديث ــ قال: «إنّ عندنا الجامعة، قلت: وما الجامعة؟ قال: صحيفة فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج إليه الناس حتّى الأرش في الخدش»[٦١]، إذ ما من أمر إلّا وله حكم شرعي تعلّق به واقترن به تطبيقًا ومنفعةً، وبهذا اللحاظ عدَّ الباحث هذه السمة بأنّها سمةٌ عامّةٌ انضوت تحتها جميع المفاهيم ومنها مفهوم المهارة.

ومن خلال رصد بعض الآيات المباركة نتلمّس هذه الحقيقة جليةً، فقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[٦٢]، إنّما أُريد بالعبادة فيه الامتثال لأوامر الله تعالى التي تتعلّق بمصلحة المكلّف قبل كلّ شيء، وذلك بلحاظ أنَّ الله غنيٌ عن عبادة ﴿الْجِنَّ وَالإِنسَ﴾ وافتقار الخلق إليه، إذ عبادتهم إنّما هي لحاجة خلقه إليها، وافتقارهم سننها، تحقيقًا للتكامل المرجو والسعادة المنشودة لهم؛ لذا قال تعالى: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ ولم «يقل: (لأُعبد)، بصيغة الفعل المبني للمجهول، بل استخدم الفعل ونسبه للفاعل، وهذا يكشف عن أهميّة الفاعل ودوره الأساس»[٦٣]، وأمّا أداة الحصر في قوله تعالى: ﴿إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ إشارة واضحة إلى انتفاعهم بتلك العبادة لما فيها من أحكام شرعية مآلها الإيفاء بحاجة العباد إليها لا المعبود لعدم حاجته لشيءٍ قطعًا، ولعلّ الآيتين

المباركتين التين تليان آيتنا ذات العلاقة توضّح المطلب لقوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّـهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٦٤]، إذ يتبيّن وحدة الموضوع وتواشج النسق والسياق، وفي هذا السياق يُنقل عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثًا ولم يتركهم سدىً، بل خلقهم لإظهار قدرته وتكليفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرّة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد»[٦٥]، وعليه فالعبادة هي أحدى السبل للوصول إلى اليقين، وفي الوقت نفسه يعدّ اليقين أحد سبل العبادة، فهي حركة تكاملية بين السبب والمسبّب وارتقاء أحدهما على وفق وجود الآخر، ومن هنا عدّت العبادة قوام العمل الصالح أو الماهر ومن لوازمه، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[٦٦].

وعبر مراقبة قوله تعالى: ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٦٧] نهتدي إلى المعنى نفسه، فعلى الرغم من أنّ الآية المباركة هي عطف بيان للآية التي سبقتها ﴿أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٦٨]، فهي تنهي عن عبادة ما دون الله تعالى من جهة، وتؤكّد وجوب عبادته سبحانه من جهة أُخرى، ومن ثمّ تبيّن وظيفة العبادة ومآلها، وهو المقصد الأساس لهذه الآية على الأظهر، إذ يُستفاد من مدلولها أنّ عبادة الله تعالى جُنّةٌ من العبث والتيه والضياع، وسبيل للأمان والاستقرار والسعادة، فالعبادة أقصر الطرق وأقومها للوصل إلى الحقّ، والاهتداء إلى المطلق سبحانه، فهي ضالة البصير ومأوى التائه المستجير.

ولعلّ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٦٩] يدلّ على وجوب تخصيص الله تعالى بالعبادة وتفرّده بالاستعانة، بالملحظ البلاغي في تقديم كلمة ﴿إِيَّاكَ﴾ التي تفيد الحصر وقصر كلّ من العبادة والاستعانة عليه جلّ شأنه دون غيره، واللافت للانتباه أنّ آية ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[٧٠] التي تلي آيتنا محل التدبّر والبحث تُبيّن أنّ العبادة جادّة المحجّة البيضاء والسبيل للوصول إليها، وأنّ الاهتداء إليها إنّما هو اهتداء إلى الاستقامة بعينها بما تنطوي عليه من مضامين عالية غايتها استعانة من تَمثّلَ بالعبادة، فضلًا على أنّ الآية تؤشّر إلى

طلب الاستمرار في طلب الهداية وتوطين النفس عليها علاوة على استدامتها[٧١].

نخلص ممّا تقدّم إلى أنَّ العبادة يمكن لها أن تولّد أداءً ماهرًا للأسباب الآتية:

١- اقتران العمل بالاعتقاد.

٢- التسليم بأنّ الله تعالى هو مصدر الحكمة.

٣- بذل الجهد بما يتناسب ومستوى المعبود.

٤- العمل بدافع حبّ المعبود.

٥- هي إحدى منابع الملكات النفسانية وأهمّ سبل ترويضها.

٦- التسليم بأنَّ المقصد من وراء العبادة جلب المصلحة ودرء المضرّة.

٧- الاعتقاد بمبدأ الثواب والعقاب.

٨- الارتقاء بأداء العمل بمستوى خطاب الله تعالى من حيث الاقتضاء والتخيير.

٩- الاعتقاد بأنّ العبادة إحدى أهمّ السبل للوصول إلى اليقين وحقائق الأشياء.

وعبر معطيات ما رصدنا آنفًا يستقرّ الرأي على أنَّ العبادة إنّما هي تجلّيات عرفانية ومجاهدة نفسانية، مآلها الطمأنينة في أداء العمل الصالح بحافز، رغبةً فيه لا رغبةً عنه، فالعبادة تُعدّ المحرّك الفعّال للقدرات المستنطقة للهمم والطاقات الظاهرية والباطنية، بلحاظ أنَّ مرجع العمل على هذا النحو باعثه الامتثال لخطاب الشارع المقتضي طلب الفعل أو الكف عنه[٧٢]، ومن هنا يتّضح جليًا ترقّي العمل الإيجابي هاهنا إلى مرتبة الإلزام الجاد والمتقن بمهارة عالية.

رابعًا: موازنة الإيمان بالعمل.

يعتقد الباحث أنَّ هذا المحور أحد السمات الرئيسة والعامّة للمفاهيم القرآنية التي تدخل في مفهومنا محلّ البحث (المهارة) أُسوةً ببقيّة المفاهيم القرآنية والإسلامية، لوجود علقة حقيقية بين المفهوم القرآني ومصاديقه من جهة وبين النظرية القرآنية والإسلامية وإمكانية تطبيقها وآلياتها العملية من جهة أُخرى، إذ لا يخفى أنَّ القرآن الكريم انبنى على سمة التلازم بين الجانب النظري والعملي وعدّ العلاقة بينهما علاقة قهرية لا يمكن فكّ رباطها بحال من الأحوال، وإلّا عدت تلك المفاهيم أو المبادئ تصوّرات مثالية خارج حدود الواقع والممكن، ذلك بأنَّ الجانب النظري شأنه إدراك الحقائق، وشأن الجانب العملي متعلّق بأداء

الإنسان وما ينبغي تطبيقه لما أدرك من تلك الحقائق، بل أنَّ الجانب العملي هو مقياس أحقّيّة المضمون النظري ابتداءً.

وإذا ما تدبّرنا في بعض آيات القرآن الكريم التي صرّحت بضرورة التلازم بين الجانب الاعتقادي والعملي، نرصد أنَّ الحركة القرآنية قد انطلقت من القضايا الكلّية نزولاً إلى القضايا الجزئية ومن الجزئية إلى الكلّية أيضًا، أو من الجانب المفاهيمي نزولًا إلى المصداقي ومن المصداقي صعودًا إلى المفاهيمي حتّى بات التلازم واضحًا بين الجانب النظري والعملي، ومن هنا لم يكن بمقدور الدارس الفصل بينهما البتة، إذ أصبحت هذه السمة عامّة للمفاهيم القرآنية جميعها ومنها مفهومنا محلّ البحث (المهارة) بل وصل الحدّ أنْ استقبح القرآن الكريم فصل المتلازمين والتباين بينهما من الكافرين والمؤمنين على حدٍّ سواء، بلحاظ أنَّ باعث عدم مطابقة القول بالعمل أو مخالفة العمل للإيمان إمّا ضعف إيمان أو نفاق أو كفر، حينئذ سنطمئن أنَّ منشأ هذه الأصناف ومرجعها إمّا إدراك ظنّي، أو مرض قلبي، أو قلق نفساني، لذا أنكر القرآن هذا النمط من السلوك ماقتًا إيّاه، إذ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[٧٣]، وقال تعالى في هذ الشأن أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[٧٤].

على حين عرض القرآن الكريم مستحسنًا اقتران الإيمان بالعمل ونعت ذلك بأبهى الصور وأبدعها، وعدَّ نمط التوافق بين الركنين الأساسيين قاعدةً ينعطف من خلالها الإنسان من الباطل إلى الحقّ ومن السخط إلى الرضا وبها تُحيا نفسه، وتتكامل ويماط نقصها وشقائها، فهي حركة جوهرية ينتقل بها الإنسان نحو الخطّ البياني للتكامل، ومن ثَمَّ تتحقّق السعادة الدنيوية والأُخروية له على وفق رؤية القرآن الكريم؛ فهي آثار صدق مطابقة العمل للاعتقاد وثمرته قطعًا.

وبالتأمل في دلالة قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٧٥] يتبيّن لنا

حقيقة ثمرة صدق الإيمان عبر اقترانه بالعمل الصالح الذي يعدّ مطابقته مصداقًا لحقيقته، ومن هنا نتلمّس تلك الآثار الإلهية من رضًا وحسن جزاء للتناغم بين الإيمان والعمل الصالح، فضلًا على آثار طبيعية الصدق الذي لا يُورث إلّا صدقًا ونجاةً، ولهذا ضمنت الآية المباركة ﴿الحياة﴾ للصادق عامّةً ممّن صدّقَ عمله إيمانه ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾، إذ نجد البيان البلاغي للآية يتجلّى وضوحًا في رسم معالم (الحياة الطيبة) من خلال وقوع (الفاء) في جواب الشرط لاسم الشرط من قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ فضلًا على دخول (لام القسم) على الفعل ﴿نحيينّه﴾ بُغية بيان إسناد تلك الحياة إلى الله تعالى وتكفّله بها، علاوةً على بيان نوع تلك الحياة وعظمة شأنها حين نُعتت بـ ﴿حَيَاةً طَيِّبَةً﴾.

ويستفاد من حسن ألفاظ الآية المباركة وجميل سياقها أنَّ المراد من قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ هي الحياة الدنيا، وهذا ما ذهب إليه بعض المفسّرين، إذ أشار إلى أنَّ الإحياء هو: إلقاء الحياة في الشيء والإفاضة فيه بحياة جديدة تطيب بها نفس المؤمن وتحسن بخيرات الدنيا[٧٦]، ولعلّ جملة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ تؤكّد ما ورد فيما ذكرنا آنفًا عبر التفريق بين ما كُرّم به المؤمن في الدنيا من جهة وبين جزاء الله تعالى له في الآخرة من جهة أُخرى، فيتّضح من الآية المباركة أنَّ طيب العيش مرجعه الإيمان والعمل الصالح وثمرته وآثاره ضمنته السنن الطبيعية والغيبية، ومن هنا عدّت هذه السمة من السمات العامّة التي تبنّاها القرآن الكريم فضلًا على كونها سمة خصّت (مفهوم المهارة) في الوقت نفسه، لتخرج المفاهيم القرآنية من إطار التنظير والمثاليات إلى ساحة الواقع العملي المتقن بمهارة عالية ليرتقي إلى مستوى العمل (الصالح) فصلاح العمل يتوقّف على مهارة أدائه، وبهذا فإنَّ المهارة من مقوّمات الحياة الطيّبة ومسبّباتها، فلا يصحّ العمل إلّا بالمهارة.

ويمكن أنْ نحرز من آيات قرآنية أُخرى المعنى نفسه، فالآية في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[٧٧] تؤكّد المقصد المذكور آنفًا، إذ يتّضح أنَّها في نسق وسياق دلالي واحد، فهي تبيّن حضور

المعنى نفسه، بل تعضد عبر الآية التي تسبقها أنَّ ذكر الله وحضور مراده وتصديق ما جاء من عنده إنّما هو تسكين للقلوب وإحياءٌ للنفوس وتأصيلٌ للإيمان: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٧٨]، على حين نجد آيتنا المباركة محلّ البحث تتوّج هذه الخلاصة من الحركة الدؤوبة بين الإيمان والعمل الصالح بقوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ أي هنيئًا لهم بطيب العيش ودوام الخير وكثرة النعم وحسن المرجع[٧٩]، ومن هنا ندرك أنَّ تجلّي الإيمان قلبًا وفكرًا وإدراكًا، وتجسيده عملًا وأداءً من المراتب الجليلة التي حباها الله تعالى بالمنزلة الرفيعة؛ لأنَّ الإيمان والعمل نابع من يقين يُطمئن إليه بعيدًا عن الاضطراب والقلق، وبهذا اللحاظ نخلص أنَّ العمل سيكون متقنًا بجودة ومهارة عالية تتلائم ومستوى اطمئنان القلب واستئناسه بالإيمان.

وكذا الحال للآيات المناظرة في الدلالة التي تؤكّد اقتران الإيمان بالعمل الصالح كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[٨١] وقوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٨٢] وغيرها من الآيات التي تؤكّد المطلب نفسه، وتعضد مقولة أنَّ القرآن الكريم عُدّ اقتران الجانب النظري بالعملي من السمات الرئيسة للمفاهيم القرآنية عامّة ومفهوم المهارة خاصّة، بلحاظ أنَّ الإيمان يمنح المؤمن حافزًا لما ينبغي فعله من عمل صالح يوافق ما اعتقد به بمهارة وجودة عالية، فتكون هذه السمة إحدى طرائق ترقّي الإنسان سلوكيًا نحو التكامل الذي أكّده القرآن الكريم.

خامسًا: سعة الرؤية القرآنية وشموليتها.

إنَّ ما يميّز الرؤية القرآنية عن الرؤى السماوية الأُخرى منها والأرضية أنَّ رؤيتها اتّسمت بالشمولية، إذ خلقت سعة من المفردات المفاهيمية استوعبت كلّ رقعة منه على المستوى النظري، ورسمت معالمه على المستوى المنهجي، ووضحت آليات تطبيقه على المستوى الإجرائي، فقد اتّسم القرآن الكريم بشمولية خطابه الإرشادي والمولوي وسع الناس جميعًا، على الرغم من وجود خطاب خصّ المؤمنين دون غيرهم، وبالوقوف على

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[٨٣] نفيد من مدلول الآية وظاهرها أنَّ القرآن الكريم عرض للناس سبل الحقّ جميعها وتبنّى توضيحها، إذ لا يخفى أنَّ تصريف الأمثال تعني (ردّها وتكرارها وتحويلها من بيان إلى بيان ومن أُسلوب إلى أُسلوب) [٨٤] لتكون الطريق المستقيم ليقين الناس وإيمانهم، فقد تضمّن القرآن الكريم بيان كلّ ما يفتقر إليه الناس عامّةً والمسلمين خاصّةً من قواعد ونظم ومناهج تعطف بهم نحو النجاة من التيه من جهة، والاهتداء إلى السعادة المنشودة من جهة أُخرى.

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٨٥]، ولعلّ وصف القرآن الكريم لنفسه بكونه ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ مثالٌ حيٌ لشموليته وسعة أبوابه المعرفية، فضلًا على أنّه ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن بتلك المنظومة السماوية ونال خيرها الدنيوي والأُخروي، فيكون بمقتضى تلك الصفة الخاصّة: ﴿بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾، وهو ما يسري على مقصد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[٨٦]، فالآية الكريمة تشترك مع ما سبقها من الآيتين وغيرها من آيات أُخر في وحدة موضوعها ببيان سعة الرؤية القرآنية وشموليتها.

ولم ينتهِ الأمر عند هذا الحدّ، بل أقرَّ القرآن خطابًا شمل فيه نوع الجنس من ذكور وإناث على حدّ سواء، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٨٧]، فالآية توضّح عظيم الجعل التكويني لله تعالى وعظيم خلقه والسرّ الكامن من وراء خلق الذكر والأُنثى وعلّة جعل الناس شعوبًا وقبائل، ومن ثمّ بيّنت أنَّ المعيار في المفاضلة هو التقوى على الرغم من سعة خطاب الآية المباركة وشمولها للجنبين على حدٍّ سواء.

كما بيّن القرآن الكريم شمولية الحياة بجنبيها الدنيوي والأُخروي مستهجنًا قصور فهم الاقتصار على الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٨٨]، وهو ما ينطبق على فهم الإنسان ومعرفة ماهيته وتركيبته الحقيقية التي نظرت إليه ببعدها الروحي والمادّي، والتعاطي معه بهذه الشمولية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ

حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٨٩]، ونتلمّس هذه السعة للبعدين المادّي والروحي في عموم الشريعة الإسلامية وآدابها، فقد تجسّدت على شكل أدوات وبرامج ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بمرجعيتها الفكرية ومن ثمّ تجلّت بمصاديق الأحكام الشرعية، والمنظومة العقدية، والأبعاد القيمية الأخلاقية.

وبالنظر إلى كلّ ما تقدّم نجد أنَّ الرؤية القرآنية قد عرضت رؤيتها بشمولية واسعة عمَّت الوجود، والإنسان، والحياة، والنظم والقوانين، وتعاملت مع هذه المفردات بحضور واقعي تكويني يلائم الواقع، وتشريعي ينسجم مع الفطرة، إذ يمكن للإنسان أنْ يطلّ من نافذة الشمولية هذه على المفاهيم القرآنية جميعها ليدرك أنّها سمة عامّة، ولهذا يمكن عدّها من سمة (المهارة) أيضًا، إذ لا يخفى أنَّ الإنسان يمكنه السمو بكينونته نحو التكامل الحقيقي عندما يجد أنَّ شمولية المنظومة الفكرية فيها من التوازن والاعتدال بما تلبّي حاجاته التشريعية الظاهرية والغيبية، وتنصفه بوصفه إنسانًا، وتنصف حقيقة تركيبته التكوينية المادّية والروحية، فهي تتعاطى معه بغضّ النظر عن تعدّد جنسه، وتُكبره فردًا وجزءًا من المجتمع، كما تثمّن وجوده بوجود عالم آخر، فيكون كلّ ما تقدّم حافزًا لأداء عمل بجودة وكفاية، ومهارة عالية.

ومن هنا نلحظ فلسفات أُخر أُجهضت؛ لأنّها اهتمّت بأمر ما دون آخر، ونأت عن شمولية الواقع والمقتضى، فضلًا على محدودية نظمها وقصور توظيفها المنهجي وتطبيقها العملي، علاوةً على انتهاء أمدها ووقتها بانتهاء أمد العمل والعامل، وإنْ كان للمهارة حضور - بنسبة ما - من دون شمولية الرؤية فستكون منقوصةً بلا شكّ، أو أنّها يمكن أنْ تكون أكثر حضورًا وإتقانًا لو اقترنت بها قطعًا.

والحقّ إنّنا لا يمكننا أنْ ننعت عمل ما بالمهارة من دون النظر إلى كونه كيانًا واحدًا متكاملًا مقترنًا بشمولية الرؤية الفكرية؛ لعدم إمكانية فصل تلك الصور المذكورة آنفًا بعضها عن بعضها الآخر، لمخالفتها للواقع والحقيقة، فالمهارة في ضوء القرآن الكريم تامّة تجلّى تكاملها في الوحدة الشاملة، ووحدة المُنشئ الواحد، ومن هنا حرص الباحث أنْ تكون هذه السمة عامّة اشترك فيها

مفهوم المهارة وبقيّة المفاهيم القرآنية الأُخرى.

خاتمة

في ضوء ما تقدّم استطاع الباحث أن يختزل جملة من نكات علمية يمكن عدّها نتائج وهي على النحو الآتي:

- يرى الباحث إمكان تعريف السمة بأنّها تلك المؤشّرات الظاهرية والجوهرية اللازمة للشيء التي يُعرف بها وتميّزه عن غيره.
- اتّضح ما من مفهوم أو علم إلّا وفيه مجموعة من السمات التي يتفرّد بها عن غيره، إذ يُعرف من طريقها ماهيته من جهة، ومعرفة رؤية مفرداته الداخلية والخارجية من جهة أُخرى، فضلًا على إمكان معرفة أُسس المفهوم وأنماطه ومناهجه وأدواته.
- وجد الباحث أنَّ معرفة مائز أي علم لا يتوقّف على فروقه مع غيره بالموضوع والغاية، بل بمعرفة سمته التي يصطبغ بها من جانب الصفات الظاهرية والباطنية أيضًا، لذا فإنَّ استيعاب أي مفهوم والعلم به مرهون بقراءة سماته.
- تعدّ السمة من وجهة نظر الباحث معيارًا دقيقًا للمطابقة بين المفهوم والمصداق أو بين النظرية والتطبيق بوصفها محاولة جادة للمقايسة بين ما هو كائن وما ينبغي فعله.
- تجلّى للباحث أنَّ وحدة خصائص المفاهيم القرآنية الرئيسة وتناغمها، في قبال تفرّد بعض سماتها الفرعية مبني على وحدة منشئها جلَّ شأنه ووحدة عُرى المنظومة الفكرية القرآنية وكمالها وتمامها.
- يحسب الباحث وجود مشتركات لكلّ مفاهيم القرآن الكريم ومنها مفهوم المهارة، وهي على النحو الآتي: سماوية الرؤية الكونية، ووسطية الشريعة واعتدالها، والعبادة وتجلّيات أحكام الشرعية، وموازنة الإيمان بالعمل، وسعة الرؤية القرآنية وشموليتها.
- تنماز المهارة في ضوء القرآن الكريم بوجود ضابط فكري اقترن بوحي سنّة الشريعة الإسلامية، فسماوية الرؤية الكونية سمة عامّة ينماز بها مفهوم المهارة وبقيّة المفاهيم الأُخرى في القرآن الكريم ولا سيّما في القضايا الكلّية والرئيسة والمطلقة.
- توصّل الباحث إلى أنَّ سماوية رؤية الشريعة الإسلامية لها حضور

واضــح في آيـات القرآن الكريم على مســتوى المفاهيم عامة ومفهوم المهارة خاصّة ممّا كوّن هذا المحور سمة للجميع عبر عمـل المكلّف بســنّـة الســمـاء وتشـريعاتها وتشبّهه بها، لذا نجده يفتقر إلى الجـدة والاتقـان والســعي الحثيث للوصــول إلى مبتغاه، وما هذا العمل إلّا مهارة الامتثال إلى سـماوية التشـريعات التي ينتمي (مفهوم المهـارة) وبقيـة المفاهيم الأُخرى إليها بوصــفها ســمة عامّة.

- يعتقد الباحث أنَّ التسليم بسمة وسـطية الشـريعة الإسـلامية واعتدالها في الأحكام والقواعد من جهة والمناهج وآليات تطبيقها من جهة أُخرى إنّما هي سمة عامّة تنضوي تحتها جميع المفاهيم القرآنية، ومنها مفهوم المهارة، وذلك لما تلمّســنا في هذه الســمة من ضــرورة تلازمها مع معانٍ مثل الجدّة، والاجتهاد، والإتقان، والدقّة، والإنصــاف، والعزم، وغيرها ممّا يكون مآلها المهارة قطعًا.
- لقد آمن الباحث بأنَّ العبادة إنّما هي تجلّيات عرفانية ومجاهدة نفسانية، مآلها الطمأنينة في أداء العمل الصــالح بحافز، رغبةً فيه لا رغبةً عنه، فالعبادة تُعدّ المحرّك الفاعل للقدرات المســتنطقة للهمم والطاقات الظاهرية والباطنية؛ لأنَّ الباعث منه هو الامتثال لخطاب الشـارع المقتضـي طلب الفعل أو الكفّ عنه، ومن هنا يتّضــح جليًا ارتقاء العمل الإيجابي هـاهنـا إلى مرتبـة الإلزام الجـاد والمتقن بمهارة عالية.
- يحسب الباحث أنَّ القرآن الكريم انبنى على ســمـة التلازم بين الجـانـب النظري والعملي وعـدَّ العلاقـة بينهمـا علاقة قهرية لا يمكن فكّ رباطها بحال من الأحوال، لذا نعدّها من السمات العامّة التي تبنّاها القرآن الكريم فضـلًا على أنّها سـمة خصّـت (مفهوم المهارة) في الوقت نفسـه، لتخرج المفاهيم القرآنية من إطار التنظير والمثاليـات إلى ســاحـة الواقع العملي المتقن بمهـارة عـاليـة متقنـة، بوصــف أنَّ الجانب النظري شــأنه إدراك الحقائق، وشــأن الجانب العملي متعلّق بأداء الإنسان وما ينبغي تطبيقه لما أدرك من تلك الحقائق، وكلا الجانبين يفتقران إلى المهارة قطعًا.
- حرص الباحث أنْ تكون ســمـة الشمولية من السمات العامّة التي اشترك فيهـا مفهوم المهـارة وبقيـة المفـاهيم القرآنيـة الأُخرى، فقـد ذهـب إلى أنّـه لا يمكن أنْ ننعت أي عمل بالمهارة من دون

النظر إلى أنّه كيانٌ واحدٌ متكاملٌ مقترنٌ بشمولية الرؤية الفكرية؛ لعدم إمكان فصل تلك الصور المذكورة آنفًا بعضها عن بعضها الآخر، لمخالفتها للواقع والحقيقة، فالمهارة في ضوء القرآن الكريم تامّة تجلّى تكاملها في الوحدة الشاملة، ووحدة المُنشئ الواحد.

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتب المطبوعة.

❖ إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامّة للمعجمات وإحياء التراث، دار الدعوة، استانبول ـ تركيا، ١٩٨٩م.

❖ ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، (٤٢٧هـ ـ ١٠٣٧م)، الإرشادات والتنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر.

❖ ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٥٩هـ)، معجم مقاييس اللغة، مؤسّسة الأعلمي، ط/١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❖ ابن قدامة: أبو محمّد موفّق الدين عبد الله بن أحمد بن محمّد بن قدامة الجماعيلي المقدسي (ت٦٢٠هـ)، المغني، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

❖ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم ابن منظور (ت٧١١هـ)، لسان العرب، الإفريقي المصري نشر أدب الحوزة قم – إيران تاريخ النشر: محرم ١٤٠٥.

❖ أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ) الفروق اللغوية، تحقيق: محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

❖ أحمد البهادلي، مفتاح الوصول إلى علم الأُصول، ط/١، شركة حسام للطباعة الفنّية المحدودة، بغداد، ١٩٩٤م.

❖ اناستازي وجون فولى، سيكولوجية الفروق بين الأفراد والجماعات، مطبعة مصر، ١٩٥٩م.

❖ البقاعي: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط/٣، ٢٠٠٦م.

❖ الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الفارابي (ت٣٩٣هـ) الصحاح،

تحقيق: أحمد عبد الغفور العطّار، الناشر: دار العلم للملايين، ط/٤، بيروت ــ لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

❖ الحرّ العاملي: محمّد بن الحسن (ت١١٠٤هـ) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، منشورات مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، ط/١، ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٧هـ.

❖ الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، منشورات ذوي القربى، قم - إيران، ط/٦، ١٤٣١هـ - ١٣٨٨ش.

❖ الزبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الحسيني (ت١٢٠٥هـ) تاج العروس، الناشر: دار الفكر، المطبعة: علي شيري، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

❖ الزمخشري: محمود بن عمر الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث، ط/١، بيروت.

❖ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط/٣٧، القاهرة، ٢٠٠٨م.

❖ الشريف الرضي، أبو الحسن محمّد بن الحسين بن موسى (ت٤٠٦هـ)، نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، الطبعة الأُولى، بيروت، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

❖ الصدوق: محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) علل الشرائع، دار التراث العربي، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط/٢، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.

❖ ضياء الدين زين الدين، الدين منشؤه ونشأته، منشورات مؤسسة الشيخ زين الدين للمعارف الإسلامية، النجف الأشرف، الأعلمي للمطبوعات، ط/١، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

❖ الطباطبائي: محمّد حسين (ت١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة الأعلمي، ط/١ المحقّقة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

❖ الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان.

❖ طلال فائق الكمالي، نظرية الهيمنة في القرآن الكريم/ دراسة تحليلية، دار الكفيل للطباعة والنشر، مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدّسة، ط/١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

❖ الطوسي، محمّد بن الحسن

الطوسي (٤٦٠هـ) التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للطباعة، بيروت ــ لبنان، ط/١، ١٤٣٤هـ. ٢٠١٣م.

❖ عبد الأعلى الموسوي السبزواري (ت١٤١٤هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، الطبعة الخامسة، مطبعة نگين، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❖ عبد الأمير كاظم زاهد، قضايا لغوية قرآنية، العارف للمطبوعات، ط/٢، بيروت ـ لبنان، ١٤٣٢هـ. ٢٠١١م.

❖ عبد الرحمن صالح الأزرق، علم النفس التربوي للمعلّمين، دار الفكر العربي، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٠م.

❖ عزيز حنا داود وناظم هاشم العبيدي، علم نفس الشخصية، الناشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، تاريخ النشر: ١٩٩٠م.

❖ الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي - الدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، ط/٢، سنة الطبع: ١٤١٠هـ.

❖ قاسم حسين صالح، الشخصية بين التنظير والقياس، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨م.

❖ الكليني: محمّد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ط/٥.

❖ محسن قراءتي، تفسير النور، دار المؤرّخ العربي، ط/١، بيروت ــ لبنان، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

❖ محمّد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون - تونس.

❖ محمّد باقر الصدر (ت١٩٨٠م) اقتصادنا، الناشر: دار الصدر (مركز الأبحاث والدراسات التخصّصية للشهيد الصدر)، المطبعة شريعت - قم المقدّسة، ط/١، ١٤٢٩هـ.

❖ محمّد باقر الصدر (ت١٩٨٠م) دروس في علم الأُصول (الحلقة الثانية)، الناشر: دار الصدر (مركز الأبحاث والدراسات التخصّصية للشهيد الصدر)، المطبعة شريعت - قم المقدّسة، ط/١، ١٤٢٩هـ.

❖ محمّد حسين علي الصغير، التفسير المنهجي للقرآن العظيم، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط/١، العراق ـ كربلاء، ٢٠١٨م ـ ١٤٣٩هـ.

❖ ناصر مكارم شيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار النشر لمدرسة الإمام علي عليه السلام - إيران، التصحيح الثالث، ط/١، ١٤٢٦هـ - ١٣٨٤ش.

ثالثًا: المجلات والصحف.

❖ مفهوم المهارة في القرآن الكريم، طلال فائق الكمالي: مجلّة دراسات إسلامية معاصرة، محكّمة تصدر من كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء، العدد الثاني والعشرون ــ السنة العاشرة. آذار ٢٠١٩م.

الهوامش

(١) سورة المائدة: الآية ١٦.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٣٠.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٣١.

(٤) مفهوم المهارة في القرآن الكريم، طلال فائق الكمالي: مجلّة دراسات إسلامية معاصرة، محكّمة تصدر من كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء، العدد الثاني والعشرون - السنة العاشرة - آذار ٢٠١٩م.

(٥) ظ: العين، الفراهيدي: ٧ / ٣٢١.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني: ٨٧١.

(٧) ظ: لسان العرب، ابن منظور: ١٢/ ٦٣٥.

(٨) تاج العروس، الزبيدي: ١٧/ ٧٢٦.

(٩) ظ: الفروق اللغوية، العسكري: ٧١.

(١٠) ظ: علم نفس الشخصية، عزيز حنا داود وناظم هاشم العبيدي: ١٣٠.

(١١) ظ: الصحاح، الجوهري: ٣/ ١٠٣٧.

(١٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢٤١.

(١٣) لسان العرب، ابن منظور: ٧/ ٢٤.

(١٤) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون: ١/ ٢٣٧.

(١٥) قضايا لغوية قرآنية، عبد الأمير كاظم زاهد: ٢١٧.

(١٦) سيكولوجية الفروق بين الافراد والجماعات، اناستازي وجون فولى: ٦٥١.

(١٧) ظ: الشخصية بين التنظير والقياس، قاسم حسين صالح: ١٣٦.

(١٨) ظ: اقتصادنا، محمّد باقر الصدر: مقدّمة الكتاب، هـ. و.

(١٩) مفهوم المهارة في القرآن الكريم، طلال فائق الكمالي: ٦٠. مجلّة دراسات إسلامية معاصرة، محكّمة تصدر من كلّية العلوم الإسلامية/

جامعة كربلاء، العدد الثاني والعشرون ــ السنة العاشرة ــ آذار ٢٠١٩م.

(٢٠) ابن سينا، الإرشادات والتنبيهات: ١/ ٩.

(٢١) مفهوم المهارة في القرآن الكريم، طلال فائق الكمالي: ٦٠. مجلّة دراسات إسلامية معاصرة، محكّمة تصدر من كلّية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء، العدد الثاني والعشرون ــ السنة العاشرة ــ آذار ٢٠١٩م.

(٢٢) ظ: الدين منشؤه ونشأته، ضياء الدين زين الدين: ١٠١ ـ ١٠٣.

(٢٣) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٢٤) سورة هود: الآية ١.

(٢٥) سورة التوبة: الآية ٣٣.

(٢٦) سورة الزمر: الآية ٢٧.

(٢٧) سورة النساء: من الآية ٥٩.

(٢٨) أُصول الكافي، الكليني: ٥٥.

(٢٩) سورة يونس: من الآية ٣٢.

(٣٠) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي:

(٣١) سورة آل عمران: من الآية ٧٩.

(٣٢) ظ: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السبزواري: ٦/ ٩٠.

(٣٣) سورة الروم: الآية ٧.

(٣٤) سورة الروم: الآية ٦.

(٣٥) في ظلال القرآن، سيّد قطب: ٥/ ٢٧٥٥.

(٣٦) سورة إبراهيم: الآية ٢٤ـ ٢٧.

(٣٧) تعدّدت آراء المفسّرين في معنى (الشجرة الطيّبة) فقد ذهب بعض منهم إلى أنّ المقصود منها كلمة التوحيد، وقال آخر: إنّها تشير إلى الأوامر الإلهية، وقال ثالث إنّها: المؤمن، وقال رابع: إنّه الإيمان الذي محتواه ومفهومه (لا إله إلّا الله)، وقال بعضهم: إنّها الطريقة والبرامج العملية. ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكارم شيرازي: ٦/ ٥٢٢.

(٣٨) سورة البقرة: من الآية ١٤٣.

(٣٩) مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني: ٨٦٩.

(٤٠) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكارم شيرازي: ١/ ٣٣٨.

(٤١) الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي: ٢/ ٣١٥.

(٤٢) سورة المائدة: من الآية ٧٧.

(٤٣) المغني، عبد الله بن قدامه: ٣/ ٤٤٥.

(٤٤) ظ: الكشّاف، الزمخشري: ١/ ٣٠٢. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السبزواري: ١٢/ ٨٠.

(٤٥) سورة المائدة: من الآية ٧٧.

(٤٦) ظ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي: ٢/ ٥١٧

(٤٧) المصدر نفسه: ٢/ ٥١٧.

(٤٨) سورة المائدة: الآية ٨.

(٤٩) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢/ ٥/ ٢٢٤.

(٥٠) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٣١١.

(٥١) ظ: الكشّاف، الزمخشري: ١/ ٢٨٠.

(٥٢) سورة القصص: الآية ٧٧.

(٥٣) سورة الفرقان: الآية ٦٧.

(٥٤) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٥٥) سورة المائدة: الآية ٨٧ ـ ٨٨.

(٥٦) نهج البلاغة باب الحكم رقم ٣٩٠.

(٥٧) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٥٤٢.

(٥٨) التعريفات، الجرجاني: ١١٨.

(٥٩) دروس في علم الأُصول، الحلقة الثانية، محمّد باقر الصدر: ١٧٦. وعقّب أنّ الحكم الشرعي على قسمين أحدهما: الأحكام التكليفية التي تتعلّق بأفعال الإنسان ولها توجيه عملي مباشر، والآخر: الأحكام الوضعية التي ليس لها توجيه عملي مباشر، وكثيرًا ما تقع موضوعًا لحكم تكلّفي.

(٦٠) نظرية الهيمنة في القرآن الكريم، طلال فائق الكمالي: ٣٥٨.

(٦١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي: ١٩/ ١٤٥.

(٦٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٦٣) تفسير النور، محسن قراءتي: ٩/ ٢٦٠.

(٦٤) سورة الذاريات: الآية ٥٧ ـ ٥٨.

(٦٥) علل الشرائع، الصدوق: ٩.

(٦٦) سورة النساء: الآية ١٢٤.

(٦٧) سورة يس: الآية ٦١.

(٦٨) سورة يس: الآية ٦٠.

(٦٩) سورة الفاتحة: الآية ٥.

(٧٠) سورة الفاتحة: الآية ٦.

(٧١) ظ: التفسير المنهجي للقرآن العظيم، محمّد حسين علي الصغير: ١/ ٥٣.

(٧٢) والجدير بالملاحظة أنَّ الامتثال لأمر

الله تعالى تسـليمًا وطاعةً مرجعه الاعتقاد بأنَّ الله تعالى هو المعبود الأوحد الذي يستحقّ الطاعة من خلال الامتثال من حيث الاقتضاء والتخيير، ومن مصاديق الحكم الشرعي الوجوب والندب: وهو خطاب الشارع المقتضي طلب الفعل من المكلف، بينما يعدّ التحريم والكراهية: هو خطاب الشارع المقتضي طلب الكفّ عن الفعل، أمّا الكراهية فهو: خطاب الشارع المقتضي التخيير بين فعل الشيء وتركه على حدّ سواء. ظ: مفتاح الوصول إلى علم الأُصول، أحمد البهادلي: ١/ ٣٧ - ٣٨.

(٧٣) سورة البقرة: الآية ٨ ـ ١٠.

(٧٤) سورة الصف: الآية ٢ ـ ٣.

(٧٥) سورة النحل: الآية ٩٧.

(٧٦) ظ: الكشّاف، الزمخشري: ١/ ٦١٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي: ٤/ ٣٠٩. تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٦/ ١٤/ ٢٧٢. الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي: ١٤/ ٣٤٠.

(٧٧) سورة الرعد: الآية ٢٩.

(٧٨) سورة الرعد: الآية ٢٨.

(٧٩) ذكر الطبرسي في مجمع البيان وجود آراء متعدّدة لتفسير كلمة (طُوبَى لَهُمْ)، تمّ عرض بعضها في متن البحث بما يتناسب وسياق الآية المباركة على الأظهر. راجع: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١٣/ ١٧٢.

(٨٠) سورة الكهف: الآية ٣٠.

(٨١) سورة الكهف: الآية ٨٨.

(٨٢) سورة البيّنة: الآية ٧.

(٨٣) سورة الإسراء: من الآية ٨٩.

(٨٤) الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي: ١٣/ ١٩٨.

(٨٥) سورة النحل: من الآية ٨٩.

(٨٦) سورة النساء: الآية ١٧٤.

(٨٧) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٨٨) سورة الأعلى: الآية ١٦ ـ ١٧.

(٨٩) سورة الحجر: الآية ٢٨ ـ ٢٩.